توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

قصيدة الإمام ابن القيم

الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

٢١٤
ب٠٣٨ ف

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

قصيدة الإمام ابن القيّم

الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
30120000218755
المكتبة المركزية

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: اسلاميًا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا: اسلامي

فصل

في جناية التأويل على ماجاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول

شرع الناظم رحمه الله في ذكر التأويل وما جنى على الشريعة المطهرة من البلايا والمحن ، والشرور والفتن ، وذكر ما يقبل منه وما يرد . قال :

هذا وأصل بلية الاسلام من ... تأويل ذي التحريف والبطلان

وهو الذي قد فرق السبعين بل ... زادت ثلاثاً قول ذي البرهان

يشير الى قوله ﷺ «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.. » الحديث[1]

وهو الذي قتل الخليفة جامع الـ ... ـقرآن ذا النورين والاحسان

يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وهو الذي قتل الخليفة بعده ... أعني علياً قاتل الأقران

وهو الذي قتل الحسين وأهله ... فغدوا عليه ممزقي اللحمان

وهو الذي في يوم حرتهم أبا ... ح حمى المدينة معقل الايمان

حتى جرت تلك الدماء كأنها ... في يوم عيد سنة القربان

أي وقعة الحرة ، وذلك أن يزيد بن معاوية وجه مسلم بن عقبة المري

---

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، من حديث معاوية رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « الا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة » وهو حديث صحيح .

في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدنية فقاتل أهلها ، فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، وفيها يقول الشاعر .

فان تقتلونا يوم حرة واقم فانا على الاسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بـ (واقم) على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، فقتل بها بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين ، وهم ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة الآف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل ، من قريش سبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً في الحرب ، وصبراً . كذا ذكر القرطبي رحمه الله في « التذكرة » وفي كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الصفدي الحنفي قال : كانت وقعة الحرة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وستين على باب طيبة ، واستشهد فيها خلق كثير وجماعة من الصحابة . قال خليفة : فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستون[1] . وروي أن رسول الله ﷺ وقف على الحرة وقال : « ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي » وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم ، وبني أمية ، وأمروا عليهم حنظلة بن عبد الله الغسيل ، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم ، فجهز اليهم يزيد

---

(١) في الاصل : وستين .

ابن معاوية مسلم بن عقبة ، فأوقع بهم . قال السهيلي : وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا خسف ، ومجازفة ، والحرة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها : حرة زهرة ، وعرفت (حرة زهرة) بقرية كانت لبني زهرة ، قوم من اليهود قال الزبير في فضائل المدينة : كانت قرية كبيرة في الزمن القديم ، وكان فيها ثلثمائة صائغ ، وكان يزيد قد أعذر الى أهل المدينة ، وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي الناس ، واجتهد في استمالتهم الى الطاعة ، والتحذير من الخلاف ، ولكن أبى الله الا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . انتهى .

وغدا له الحجاج يسفكها ويقتل صاحب الايمان والقرآن

وجرى بمكة ما جرى من أجله من عسكر الحجاج ذي العدوان

وهو الذي أنشا الخوارج مثلما أنشا الروافض أخبث الحيوان

ولأجله شتموا خيار الخلق بعد الرسل بالعدوان والبهتان

ولأجله سل البغاة سيوفهم ظناً بأنهم ذوو إحسان

ولأجله قد قال أهل الاعتزا ل مقالة هدّت قوى الايمان

ولأجله قالوا بأن كلامهُ سبحانه خلق من الاكوان

ولأجله قد كذبت بقضائه شبه المجوس العابدي النيران

ولأجله قد خلدوا أهل الكبا ئر في الجحيم كعابدي الأوثان

ولأجله قد أنكروا لشفاعة المختار فيهم غاية النكران

ولأجله ضرب الامام بسوطهم صدّيق أهل السنة الشيباني

ولأجله قد قال جهم ليس رب العرش خارج هذه الأكوان

كلا ولا فوق السموات العلى والعرش من رب ولا رحمان

مافوقها رب يطاع جباهنا تهوي له بسجود ذي خضعان

ولأجله جحدت صفات كماله والعرش أخلوه من الرحمن

ولأجله أفنى الجحيم وجنة المأوى مقالة كاذب فتّان

ولأجله قالوا الاله معطل أزلاً بغير نهاية وزمان

ولأجله قد قال ليس لفعله من غاية هي حكمة الديان

ولأجله قد كذبوا بنزوله نحو السماء بنصف ليل ثان

ولأجله زعموا الكتاب عبارة وحكاية عن ذلك القرآن

ما عندنا شيء سوى المخلوق والقرآن لم يسمع من الرحمن

ماذا كلام الله قط حقيقة لكن مجاز ويح ذي البهتان

ولأجله قتل ابن نصر أحمدا ذاك الخزاعي العظيم الشان

إذ قال ذا القرآن نفس كلامه ما ذاك مخلوق من الأكوان

أي : ولأجله قتل الواثق أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ،

وقصته معروفة ، ذكرها ابن الجوزي في « مناقب الامام أحمد » رحمه الله تعالى. قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في « مناقب الامام أحمد » أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، كان من أهل الدين والصلاح ، والأمارين بالمعروف ، وسمع الحديث من مالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وهشيم في آخرين . وقد روى عنه يحيى بن معين وغيره. وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة ، فأخذ وحمل الى الواثق . فقال له : دع ماأخذت له ، ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله . قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله . قال : أفترى ربك في القيامة ؟ قال : كذا جاءت الرواية . قال : ويحك وكما يرى المحدود المجسم ؟ ودعا بالسيف ، وأمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر بشد رأسه بحبل ، وأمرهم أن يمدوه ، ومشى اليه حتى ضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه الى بغداد ، فنصب بالجانب الشرقي أياماً ، وفي الجانب الغربي أياماً .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز باسناده عن أبي بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر أحمد بن نصر . فقال : رحمه الله ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه . قال الخطيب : ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد ، وجسده مصلوباً بـ « سر من رأى » ست سنين الى أن حط ، وجمع بين رأسه وبدنه ، ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفة بالمالكية ، ودفن في شوال سنة سبع وثلاثين .

وهو الذي جر ابن سينا والألى ... قالوا مقالته على الكفران

فتأولوا خلق السموات العلى ... وحدوثها بحقيقة الامكان

وتأولوا علم الإله وقوله ... وصفاته بالسلب والبطلان

وتأولوا البعث الذي جاءت به رسل الإله لهذه الأبدان
بفراقها لعناصر قد ركّبت حتى تعود بسيطة الأركان
وهو الذي جر القرامطة الأُلى يتأولون شرائع الايمان
فتأولوا العملي مثل تأول العلمي عندكمُ بلا فرقان
وهو الذي جر النصير وحزبه حتى أتوا بعساكر الكفران
فجرى على الاسلام أعظم محنة وخمارها فينا الى ذا الآن

قوله : وخمارها فينا الى ذا الآن ؛ أي : أن فتن التتار لم تزل الى زمان الناظم ، وقد تقدم بعض ما فعلوه ببغداد في الفصل الذي أوله :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان

وما جرى على الاسلام من هؤلاء الملاعين كثير شهير ، فان حديثهم يأكل الاحاديث ، ولكن نشير الى بعض ما جرى في عصر الناظم وقبله ، وما فعله شيخ الاسلام رحمه الله ، فان له اليد البيضاء في جهادهم ، قرأت في ترجمته لبعض أصحابه قال : وفي أول رمضان سنة ثنتين وسبعمائة كانت وقعة شقحب المشهورة ، وحصل للناس شدة عظيمة ، وظهر فيها من كرامات الشيخ ، وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وفرط شجاعته ، ونهاية كرمه ، ونصحه للاسلام ، وغير ذلك ما يتجاوز الوصف . قال بعض أصحابه : ثم ساق الله جيش الاسلام العرمرم المصري صحبة أمير المؤمنين ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سوقاً حثيثاً للقاء التتار ، فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وأعيان الأمراء ، وكلمهم بمرج الصفر قبلي دمشق ، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات ، وبقي الشيخ هو

وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بجهاده ولأمة حربه ، يوصي الناس بالثبات ، ويعدهم النصر ، ويبشرهم بالغنيمة ، والفوز باحدى الحسنيين ، الى أن صدق الله وعده ، وأعز جنده ، وهزم التتار وحده ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق ، والشيخ في أصحابه شاك في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، مقبولة شفاعته ، مكرماً ، معظماً ، يقول للمداحين : أنا رجل ملة ، لا رجل دولة ، وأخبرني حاجب من الحجاب ذو دين وأمانة وصدق .قال : قال قال لي الشيخ يوم اللقاء : يا فلان الدين ، أو قفني موقف الموت ، فسقته الى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار ، فرفع طرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، ثم انبعث وأقبل على القتال ، ثم حال القتال والالتحام وما عدت رأيته ، حتى فتح الله وانحاز التتار الى جبل صغير عصموا أنفسهم به من سيوف المسلمين آخر النهار ، واذا بالشيخ وأخيه يصيحان تحريضاً على القتال ، وتخويفاً للناس من الفرار . فقلت : لك البشارة بالنصر ، فهاهم محصورون بهذا السفح ، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم ، قال : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ودعا لي دعاء رأيت بركته في ذلك الوقت وبعده . وقال ابن فضل الله : وحكي من شجاعته في مواقف الحروب نوبة شقحب ، ونوبة كسروان ، ما لم يسمع الا عن صناديد الرجال ، وأبطال اللقاء ، وأحلاس الحرب ، تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه ، وركب البريد الى مهنا بن عيسى أمير العرب ، واستحضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان ، واستنفره وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره ، ولما جاء السلطان الى شقحب ، لاقاه الى قرب الحرة ، وجعل يشجعه ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال : يا خالد بن الوليد . فقال له : لا تقل هذا ، بل قل : يا الله ،

واستغث بالله ربك وحده ، ووحده تنصر ، وقل : يامالك يوم الدين ، إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفة ، وتارة على السلطان ، ويديها ، ويربط جأشها ، حتى جاء نصر الله والفتح . وحكي أنه قال للسلطان : اثبت فانك منصور . فقال له بعض الأمراء : قل : ان شاء الله . فقال : ان شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فكان كما قال ، وقبل ذلك في نوبة غازان فعل من أنواع الجهاد وأنواع الخير ، من انفاق الأموال ، وإطعام الطعام ، وغير ذلك ما هو معروف مشهور ، فرحمه الله ورضي عنه .

وجميع مافي الكون من بدع وأحداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان لا تأويل أهل العلم والايمان

إذ ذاك تفسير المراد وكشفه وبيان معناه الى الأذهان

قد كان أعلم خلقه بكلامه صلى عليه الله كل أوان

يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان

هذا الذي قالته أم المؤمنين حكاية عنه لها بلسان

فانظر الى التأويل ما تعني به خير النساء وأفقه النسوان

أتظنها تعني به صرفاً عن المعنى القوي لغير ذي الرجحان

وانظر الى التأويل حين يقول علّمه لعبد الله في القرآن

ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معناه له ببيان

قول ابن عباس هو التأويل لا تأويل جهميّ أخي بهتان

وحقيقة التأويل معناه الرجو ع الى الحقيقة لا الى البطلان

وكذاك تأويل المنام حقيقة الـمرئي لا التحريف بالبهتـان

وكذاك تأويل الذي قد أخبرت رسل الإله به من الايمـان

نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى يوم المعاد برؤية وعيان

لا خلف بين أئمة التفسير في هذا وذلك واضح البرهان

هذا كلام الله ثم رسوله وأئمـة التفسير للقرآن

تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر المفهوم للأذهـان

ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان

كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا عزل النصوص عن اليقين فذان

تأويل أهل الباطل المردود عنـد أئمة العرفان والايمان

وهو الذي لا شك في بطلانه والله يقضي فيه بالبطـلان

فجعلتمُ للفظ معنى غير معنـاه لديهم باصطلاح ثان

وحملتم لفظ الكتاب عليه حـتى جاءكم من ذاك محذوران

كذب على الالفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحـان

وتـلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان

إذ يشهدون الزور إن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

اعـــلم أن كلام الناظم في هـذه الأبيات هو معنى ما ذكره شيخ الاســـلام في « التدمرية » فانه قال : القاعدة الخامسة : إنا نعلم ما أخبرنا من وجـه دون وجه ، فان الله قال : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ وقال : (أفلم يـــدبروا القول) المؤمنون : ٦٨ وقال : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)ص : ٢٩ وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد : ٢٤ فأمر بتدبر القرآن كله . وقد قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب) آل عمران : ٧ .

وجمهور سلف الأمـــة وخلفه ، على أن الوقف على قوله : (وما يعلم تأويله الا الله) .

وهذا هو المأثور ، عن أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم . وروي عن ابن عباس ، أنه قال : التفسير على أربعـــة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، من ادعى علمـه فهو كاذب . وقد روي عن مجاهد ، وطائفة ، أن الراسخين في العـــلم يعلمون تأويله . وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ، من فاتحته الى خاتمتـــه ، أقفه عند كل آية ، وأسأله عن تفسيرها ، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق ، فان لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات ، مستعملاً في ثلاثة معان : أحدها ، وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقـــه

وأصوله ، أن التأويـــل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ، وهل ذلك محمود ، أو مذموم ، أوحق ، أوباطل ؟ والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير رأمثاله من المفسرين . واختلف علماء التأويل ، ومجاهـد إمام المفسرين ، قال الثوري : اذا جاءك التفسير عن مجاهد ، فحسبك به ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي ، والبخاري ، وغيرهما ، فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشـــابه ، فالمراد معرفة تفسيره . الثالث من معاني التأويل : هو الحقيقة التي يؤول اليها الكلام ، كما قـــال تعالى : (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنابالحق) الاعراف : ٦٣ فتأويل مافي القرآن من أخبار المعاد : هو ما أخبر الله به فيه ، مما يكون من القيامة ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ونحوذلك ، كما قال في قصة يوسف لما سجدأبواه واخوته : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ فجعل عين ما وجد في الخارج : هو تأويل الرؤيا ، فالتأويل الثاني : هو تفسير الكلام ، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ ، حتى يفهم معناه ، أو تعرف علته ، أو دليله ، وهذا التأويل الثالث هو عين ماهو موجود في الخارج ، ومنه قول عائشة : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلي » يتأول القرآن[1] يعني قوله (فسبح بحمد ربك وستغفره) النصر : ٤ وقول سفيان بن عيينة : السنة : هي تأويل الأمر

---

(١) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ،

والنهي ، فان نفس الفعل المأمور به ، هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر عنه ، هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر ؛ ولهذا يقول أبو عبيد وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة ، كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء ، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ماأمر به ونهى عنه ؛ لعلمهم بمقاصد الرسول ﷺ ، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما ، من مقاصدهما ، ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي ، لابد من معرفته ، بخلاف تأويل الخبر . اذا عرف ذلك ، فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله تعالى به من الوعد والوعيد ، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد . ولهذا ما يجيء في الحديث ؛ يعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهه ، لأن ما أخبر الله عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، فيه ألفاظ متشابهة ، يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لحماً ، ولبناً ، وعسلاً ، وخمراً ، ونحو ذلك ، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى ، ولكن ليس هو مثله ، ولا حقيقته كحقيقته ، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وان كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ، ان لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته ، والاخبار عن الغائب ، لايفهم ، إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويعلم بها مافي الغائب ، بواسطة العلم بما في الشاهد ، مع العلم بالفارق المميز ، وأن ما أخبر الله به من الغيب ، أعظم مما في الشاهد ، وفي الغائب ، مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ؛ فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار ؛ علمنا معنى ذلك ، وفهمنا ما أريد منا فهمه ، بذلك الخطاب ،

وفسرنا ذلك . وأما نفس الحقيقة المخبر عنها ، مثل التي لم يكن بعد ، وإنما يكون يوم القيامة ؛ فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله ؛ ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف ، عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعـــة ، وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الايمان . فبين أن الاستواء معلوم ، وأن كيفية ذلك مجهولة ، ومثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة ، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى ، وأنه لا يعلم كيف الله الا الله ، فلا يعلم ما هو إلا هو . وقد قال النبي ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في « صحيح مسلم » وغيره . وقال في الحديث الآخر : « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو نزلته في ، كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في «المسند» . و « صحيح أبي حاتم ، وأطال الكلام . وهو كلام نفيس ، وهو معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربع ... والله ليس لكم بهن يدان

منها دليل صارف للفظ عن ... موضوعه الأصلي بالبرهان

إذ مدّعي نفس الحقيقة مدّع للأصل لم يحتج إلى برهان
فاذا استقام لكم دليل الصرف يا هيهات طولبتم بأمر ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قلتم هو المقصود بالتبيان
فاذا أتيتم ذاك طولبتم بأمـــر ثالث من بعد هذا الثاني
إذ قلتم إن المراد كذا فما ذا دلكم أتخرص الكهان
هب أنه لم يقصد الموضوع لـــكن قد يكون القصد معنى ثان
غير الذي عينتموه وقد يكو ن اللفظ مقصوداً بدون معان
كتعبد وتلاوة ويكو ذا لك القصد أنفع وهو ذو إمكان
من قصد تحريفها يسمى بتا ويل مع الاتعاب للاذهان
والله ما القصدان في حدسوا[1] في حكمة المتكلم المنان
بل حكمة الرحمن تبطل قصده التحـريف حاشا حكمة الرحمن
وكذاك تبطل قصده إنزالها من غير معنى واضح التبيان
وهما طريقا فرقتين كلاهما عن مقصد القرآن منحرفان

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل ، إلزام أهل التأويل أربعة لوازم ، ولا سبيل لهم إلى دليل قاطع بها . الأول : المطالبة بدليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي ، وهو أن الأصل في الألفاظ الحقيقية ، فالمدعي النقل عن الحقيقية ، يحتاج إلى دليل قاطع ، فاذا أقاموا الدليل الموجب للصرف

(١) اي في سواه .

عن الحقيقة ، وهيهات ، طولبوا بالأمر الثاني، وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قالوه. فاذا أقاموا احتمالاً أو احتمالين أو ثلاثة ، طولبوا بالدليل على أن المراد أحد المحتملات ، وليس عندهم إلا التخرص والظن ، وإذا قدرنا أنه لم يقصد الموضوع ، فقد يكون القصد معنى آخر ، كالتعبد ونحوه . وإذ كان المقصود بها التعبد والتلاوة ، فذاك القصد أنفع ، وهو ممكن ، وهو أولى من أن يكون القصد بإنزالها ، تحريفها المسمى بالتأويل ، ولهذا قال الناظم : والله ما القصدان في حد سوا الخ .. أي : أن حكمة المولى سبحانه تأبى ذلك ، أي تأبى أن ينزلها سبحانه لقصد التأويل والتحريف ، إلا أن ينزل ألفاظاً ليس لها معان . وإن كانت هاتان الطريقتان الباطلتان ، طريقتين لفرقتين منحرفتين عن مقاصد القرآن . وقوله : وعليكم في ذا وظائف أربع الخ .. تقدمت ثلاث منها ، ويأتي الرابع في الفصل بعده، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران

قال المراد حقائق الألفاظ تخييلاً وتقريباً إلى الأذهان

عجزت عن الأدراك للمعقول إلا في مثال الحسن كالصبيان

كي يبرز المعقول في صور من المحسوس مقبولاً لذي الأذهان

فتسلط التـأويل إبطال هـذا القصد وهو جناية من جـان.

هذا الذي قد قاله مـع نفيه لحقائق الألفاظ في الأذهان

وطريقة التأويل أيضاً قد غدت مشتقة من هـذه الخلجـان

وكلاهما اتفقا على أن الحـقيقة منتف مضمونهـا ببيان

لكن قد اختلفا فعند فريقكم مـا إن أريدت قط بالتبيان

لكنّ عندهمُ أريد ثبوتها في الذهن إذ عدمت من الإحسان

اذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهـان أمر ثان

فكلاهما ارتكبا أشد جناية جنيت على القرآن والايمان

جعلوا النصوص لأجلها غرضاً لهم قـد خرّقوه بأسهم الهذيان

يعني الناظم أن ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الفلاسفة لما فتح المتكلمون باب التأويل ، الذي هو تحريف النصوص ، فإن حقيقة قول المتكلمين : ان الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكناً له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة ، أو تقدير مدة لا نهاية لها ، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وإرادته بعلة أزلية ؛ والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح . وكل هـذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيتـه ، وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الإسلام . والذين اتبعوا هؤلاء المتكلمين وأثبتوا الصفات . قالوا : يريد جميع المرادات بإرادة واحدة ، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به ، إنما هو شيء واحد لا يتعدد

ولا يتبعض، وإذا رؤي رؤي بلا مواجهة ولا معاينة وإنه لم يسمع، ولم ير الأشياء حتى وجدت، لم يقم به أنه موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك، إلى امثال هـــذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح، فلما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، وعلموا فساد هذا، أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل - بعد أن لم يكن، يمتنع، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث، فيكون الفعل دائماً، ثم ادعوا دعوى كاذبة، لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها. وهو أنه إذا كان الفعل دائماً، لزم قدم الأفلاك والعناصر، ثم لما أرادوا تقرير، النبوة جعلوها فيضاً فاض من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم أن له رسولاً معيناً، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمين، ولا يعلم الجزئيات ولا نزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ﷺ، وهو العقل الفعال، وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر، وغير ذلك مما أخبرنا به الرسول ﷺ. وزعموا أن ماجـــاء به الرسول ﷺ، إنما أراد به خطاب الجمهور، بما يخيل إليهم، بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقـــائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه. وهذا معنى قول الناظم حكاية عن ابن سينا. قـــال: المراد حقـائق الألفاظ تخييلاً وتقريباً إلى الاذهان. لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول، إلا في مثال محسوس فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس، حتى تقبله أذهان الجمهور. فيقول الناظم: هذا هو الذي قد قاله ابن سينا، مع نفيه لحقائق الألفاظ في

الأذهان . فالتأويل عند ابن سينا لأجل إبطال هذا القصد ، وهـــذا يحرم التأويل عند الفلاسفة إلا للعارف ، وأشار الناظم إلى ذلك بقوله :

فلذاك يحرم عندهم تأويله لكنه حل لذي العرفان

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتسلط الأوغاد والأوقاح والـــ أرذال بالتحريف والبهتان

كل إذا قابلته بالنص قـا بله بتأويل بـلا برهـان

ويقول تأويلي كتأويل الذيـــن تأولوا فوقيـة الرحمن

بل دونه فظهورها في الوحي بالنـــصين مثل الشمس في التبيان

أيسوغ تأويل العلو لكم ولا تتأولوا الباقي بلا فرقان

وكذاك تأويل الصفات معانها ملء الحديث وملء ذي القرآن

والله تأويل العلو أشد من تأويلنا لقيامة الأبدان

وأشد من تأويلنا لحياته ولعلمه ومشيئة الاكوان

وأشد من تأويلنا لحدوث هـــذا العالم المحسوس بالإمكان

وأشد من تأويلنا بعض الشرا ئع عند ذي الانصاف والميزان

وأشد من تأويلنا لكلامه بالفيض من فعّال ذي الاكوان

وأشد من تأويل أهل الرفض أخبـــار الفضائل حازها الشيخان

وأشد من تأويل كل مؤول نصاً بأن مراده الوحيـان

إذ صرح الوحيان مع كتب الإلـــه جميعها بالفوق للرحمن
فلأي شيء نحن كفار بذا التـــأويل بـل أنتم على الايمـان
إنا تأولنـا وأنتم قد تـــأولتم فهاتوا واضح الفرقان
ألكم على تأويلكم أجران حيـث لنا على تأويلنا وزران
هذي مقالتهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان
ردوا عليهم إن قدرتم أو فـنحوا عن طريق عساكر الايمان
لا تحطمنكم جنودهم كحطـم السيل ما لاقى من الديدان

الأوغاد : جمع وغد وهو الذي يخدم بملء بطنه . والأوقاح : جمع وقح وهو الذي لاحياء له . يعني أن الأوغاد والأوقاح والارذال من الباطنية والفلاسفة وغيرهم ، لما رأوا تأويل المتكلمين لعلو الرب سبحانه وتعالى ، وفوقيته على خلقه ، وكذا تأويلهم لصفاته تعالى . فقال أولئك للمتكلمين : تأويلكم للعلو أعظم من تأويلنا للقيامة ، وأشـــد من تأويلنا لحياته سبحانه وعلمه ومشيئته ، وأشد من تأويلنا لحدوث العالم بالإمكان ، وأعظم من تأويلنا لكلامه بأنه فاض من العقل الفعال ، وأشد من تأويل الروافض للأخبار التي في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأشد من تأويل كل مؤول ، لأنه قد صرح الوحيان ، وجميع الكتب الإلهية بالفوقيه فلأي شيء نكفر بتأويلنا ، وأنتم مؤمنون . فنحن قد تأولنا كما تأولتم ، فهاتوا فرقاً واضحاً ، وهذا معنى قول الناظم : هذي مقالتهم لكم في كتبهم الخ . فردوا عليهم إن قدرتم ، وهيهات ، وإلا فتنحوا عن

طريق عساكر الإيمان ، فهم الذين يردون على أولئك الأوغاد ، وذلك أنهم قبلوا ما أخبر الله بـه عن نفسـه ، أو أخبر به رسوله ، إثباتاً بلا تأويل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله . وقالوا : آمنا به كل من عند ربنا ، والحمد لله وحده .

قال الناظم :

وكذا نطالبكم بأمر رابع ... والله ليس لكم بذا إمكان

وهو الجواب عن المعارض إذ به الد ... عوى تتم سليمة الأركان

لكنَّ ذا عين المحال ولو يسا ... عدكم عليه رب كل لسان

فأدلة الإثبات حقاً لا يقو ... م لها الجبال وسائر الاكوان

تنزيل رب العالمين ووحيه ... مع فطرة الرحمن والبرهان

أنَّى يعارضها كناسة هذه الـ ... أذهان بالشبهات والهذيان

وجعاجع وفراقع ماتحتها ... إلا السراب لوارد ظمآن

فلتهنكم هذي العلوم اللاءِ قد ... ذخرت لكم عن تابع الإحسان

بل عن مشايخهم جميعاً ثم وفـ ... ـقتم لها من بعد طول زمان

والله ماذخرت لكم لفضيلة ... لكمُ عليهم يا أولي النقصان

لكن عقول القوم كانت فوق ذا ... قدراً وشأنهم فأعظم شان

وهم أجل وعلمهم أعلى وأشـ ... ـرف أن يشاب بزخرف الهذيان

فلذاك صانهم الإله عن الذي ... فيه وقعتم صون ذي إحسان

سميتم التحريف تأويلاً كذا التعطيل تنزيها سما لقبان

وأضفتم أمراً إلى ذا ثالثاً شراً وأقبح منه ذا بهتان

فجعلتم الإثبات تجسيماً وتشبيهاً وذا من اقبح العدوان

فقلبتم تلك الحقائق مثل ما قلبت قلوبكم عن الإيمان

وجعلتم الممدوح مذموماً كذا بالعكس حتى استكمل اللبسان

وأردتم أن تحمدوا بالاتبا ع نعم لمن يافرقة البهتان ؟

وبغيتم أن تنسبوا للابتدا ع عساكر الآثار والقرآن

وجعلتم الوحيين غير مفيدة للعلم والتحقيق والبرهان

لكن عقول الناكبين عن الهدى لها تفيد ومنطق اليونان

وجعلتم الايمان كفراً والهدى عين الضلال وذا من الطغيان

ثم استخفّيتم عقولاً ما أرا د الله أن تزكو على القرآن

حتى استجابوا مهطعين لدعوة التعطيل قد هربوا من الايمان

يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا ولما دعا قعدوا قعود جبان

هذا هو الرابع من الأمور التي تقدمت في الفصل قبله ، لأنه طالبهم بثلاثة أشياء ، وبقي الرابع : وهو أنا نطالبهم بالجواب عن المعارض لهم ، وهو أدلة الإثبات ، وجوابهم عنها عين المحال . وكيف يعارض النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والفطرة ؛ كناسة الآراء والأذهان ،

وجعاجع وفراقع ما تحتها إلا السراب للوارد الظمآن ، فليهنهم الاعتياض بهذه العلوم التي قد ذخرت عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المهديين ، فإن الله تعالى صانهم ونزههم عن هذا الذي وقع فيه هؤلاء ، نعوذ بالله من الخذلان .

وقوله : سميتم التحريف تأويلًا الخ . أي : أنهم سموا تحريفاتهم تأويلًا ، وسموا التعطيل تنزيهاً ، وأضافوا الى ذلك أمراً ثالثاً أقبح وأشنع ، وهو أنهم سموا الاثبات تجسيماً وتشبيهاً ، فقلبوا الحقائق ، وجعلوا الممدوح مذموماً ، والمذموم ممدوحاً ، فدلسوا ولبسوا .

وقوله : وأردتم أن تحمدوا بالاتباع الخ .. أي : أنهم أرادوا أن يحمدوا باتباع الكتاب والسنة ، وهم عن ذلك بمراحل ، وهذا معنى قوله : لكن لمن ، ومع ذلك نسبوا للابتداع عساكر الآثار والقرآن ، وصرحوا بأن نصوص الوحيين لاتفيد اليقين ، وأن العلم واليقين إنما يستفاد من غيرهما ، كعقولهم ، ومنطق اليونان ، وقالوا : إذا تعارضت الأدلة اللفظيه والقواطع العقليه بزعمهم ، قدمنا القواطع العقلية ، وجعلوا الايمان كفراً ، والهدى ضلالاً ، ثم استخفوا أصحاب العقول الضعيفة غير الزكية ، فاستجابوا مهطعين لدعوتهم ، واتبعوهم على تحريفهم وتأويلهم .

فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءة أهل الاثبات مما رموهم بـه من هذه الشبه .

هذا وثَمَّ بلية مستورة فيهم سـأبديها لكم ببيان

ورث المحرّف من يهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان
فأراد ميراث الثلاثة منهم فعصت عليه غاية العصيان
إذ كان لفظ النص محفوظاً فما التبديل والكتمان في الإمكان
فأراد تبديل المعاني إذ هي المقصود من تعبير كل لسان
فأتى اليها وهي بارزة من الألفاظ ظاهرة بلا كتمان
فنفى حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقان
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الألفاظ بالعدوان
وأتى الى حزب الهدى أعطاهمُ شبه اليهود وذا من البهتان
إذ قال إنهم مشبهة وأنتم مثلهم فمن الذي يلحاني
في ممتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن

مراد الناظم رحمه الله أن المحرف ، أي : المؤول ورث ، التحريف من اليهود . وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان ، فأراد المحرف ميراث الثلاثة منهم ، فعصت عليه ، ولم يمكنه ذلك ، لأن لفظ النص محفوظ ، قد تولى الله حفظه ، كما قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، الحجر : ٩ فعدل الى تبديل المعاني ، لأنها هي المقصودة بالتعبير ، ولم يمكنه الكتمان أيضاً ، فنفى حقائقها ، وأعطى لفظها معنى غير معناه الموضوع له ، فجحد المعنى ، وجنى على اللفظ بالعدوان ، ثم بعد ذلك سمى أهل الاثبات والهدى مشبهة ، وأنهم مثل اليهود ، وهذا معنى قول الناظم : فمن الذي

يلحاني في هتك أستار اليهود وشبههم . ومعنى يلحاني : ينازعني . قال في « القاموس » لاحاه ملاحاة ولحاء : نازعه . انتهى . أي : من ينازعني في هتك أستار المعطلة ، وتشبيههم باليهود . ثم شرع الناظم في بيان شبههم المحقق باليهود فقال :

يامسلمين بحق ربكم اسمعوا قولي وعوه وعي ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا الذي أولى بهذا الشبه بالبرهان
أمر اليهود بأن يقولوا حطة فأبوا وقالوا حطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله لغة وعقلاً ما هما سيان
عشرون وجهاً تبطل التأويل باستولى فلا تخرج عن القرآن
قد أفردت بمصنف هو عندنا تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة قد أبطلت هذا بحسن بيان
هي في الصواعق إن ترد تحقيقها لا تختفي الا على العميان
نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان
فهما اذاً في نفيهم لصفاته العليا كما بينته أخوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ايضاح ماذكره من شبه المعطلة باليهود ،

وأنهم ورثوا منهم التحريف ، فذكر أن اليهود قيل لهم : (قولوا حطة) البقرة : ٥٨ والأعراف : ١٦١ فأبوا وقالوا : حنطة ، وكذلك الجهمية . قيل لهم : استوى ؟ فأبوا وقالوا : استولى : وليس كذلك ، فإن هذا من جهل الجهمي بمعنى استوى لغة وعقلاً ، وذكر أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل من عشرين وجهاً ، أفردها شيخ الاسلام في مصنف مفرد ، وقد ساقها الناظم فيما تقدم ، وزاد وجهاً فصارت إحدى وعشرين وجهاً .

قوله : ولقد ذكرنا أربعين طريقة . أي : وقد أبطلنا تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين طريقاً ، ذكرها الناظم رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » وهو في مجلدات في غاية الاجادة والنفاسة ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً .

وقوله : قد أفردت بمصنف هو عندنا الخ . يعني به شيخ الاسلام كما تقدم .

قولـه :

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان

أي : أن الجهمية شابهوا اليهود أيضاً ، فالجهمية نفوا صفات الرب سبحانه ، واليهود وصفوه بالنقصان ، فوصفوه بأنه فقير ، تعالى الله عن ذلك ، وأن يده مغلولة ، ووصفوه بالندم ، والتعب ، تعالى الله وتقدس عن إفكهم .

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الاثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وأنهم أشباهه .

ومن العجائب قولهم فرعون مذ هبه العلو وذاك في القرآن
ولذاك قد طلب الصعود اليه بالصرح الذي قد رام من هامان
هذا رأيناه بكتبهم ومن أفواههم سمعاً الى الآذان
فاسمع إذاً من الذي أولى بفر عون المعطل جاحد الرحمن
وانظر الى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن
فمن المصائب أن فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الايمان
ويقول ذاك مبدل للدين سا ع بالفساد وذا من البهتان
ان المورث ذالهم فرعون حين رمى به المولود من عمران
فهو الامام لهم وهاديهم بمتبوع يقودهم الى النيران
هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتكليم انكاراً على البهتان
إذ قصده إنكار ذات الرب فالتعطيل مرقاة لذا النكران
وسواه جاء بسلّم وبآلة وأتى بقانون على بنيان
وأتى بذاك مفكراً ومقدراً ورث الوليد العابد الاوثان

وأتى الى التعطيل من أبوابه لامن ظهور الدار والجدران

وأتى به في قالب التنزيه والتـعظيم تلبيساً على العميان

وأتى الى وصف العلو فقال ذا التـجسيم ليس يليق بالرحمن

فاللفظ قد أنشاه من تلقائه وكساه وصف الواحد المنان

والناس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولو كانوا من الشيخان

الا أناساً سلموا للوحي هم أهل البلوغ وأعقل الانسان

فأتى الصبيان فانقادوا له كالشاء اذ تنقاد للجوبان

فانظر الى عقل صغير في يدي شيطان ما يلقى من الشيطان

أي : ومن العجائب أن المعطلة تزعم أن العلو مذهب فرعون ، وهذا من قلب الحقائق وقد تقدم توضيح ذلك . قوله : إذ قصده إنكار ذات الرب تعالى الخ . أي : إن قصد فرعون اللعين إنكار ذات الرب تعالى . قوله : وسواه جاء بسلم وبآلة الخ ، أي : أن هؤلاء النفاة ، وضعوا القوانين فيما جاءت به الانبياء عن الله ، فما وافق تلك القوانين قبلوه ، وما خالفها لم يتبعوه ، وتأولوه أو فوضوه ، قوله : وأتى بذاك مفكراً ومقدراً . أي : النافي فكر وقدر فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسله ، وأنه ورث بذلك الوليد بن المغيرة ، الذي ذكره الله تعالى في قوله : (انه فكر وقدر) المدثر : ١٣ الآية . ورحم الله الناظم ، فلقد استعظم نسبتهم مذهب العلو الى فرعون ، فلو دفع الى زمن من زاد في الطنبور نغمة ، وصنف مصنفاً في إيمان فرعون ، وإن كان المحيي ابن عربي قد زعم ذلك ،

فمذهبه معلوم ، ومشربه مذموم ، فالله المستعان . قوله : إذ تنقاد للجوبان ، وهو الراعي .

فصل

في بيان تدليسهم وتلبيسهم الحق بالباطل

قالوا اذا قال المجسم ربنا ... حقاً على العرش استوى بلسان

فسلوه كم للعرش معنى واستوى ... أيضاً له في الوضع خمس معان

وعلى فكم معنى لها أيضاً لدى ... عمرو فذاك إمام هذا الشان

بين لنا تلك المعاني والذي ... منها أريـــد بواضح التبيان

يعني أن المعطلة لشدة تدليسهم وتلبيسهم ، قالوا : إذا قالت المثبتة : إن الله تعالى استوى على العرش ، فسلوه: كم للعرش معنى . واستوى : كم معنى لها لدى عمرو. أي عند عمرو ، وهو سيبويه ، إمام النحاة ، فإن اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر . قال صاحب « العواصم والقواصم » : إذا قال لك المجسم (الرحمن على العرش استوى) : طه : ٥ فقل : استوى على العرش ، تستعمل على خمسة عشر وجهاً ، فأيها تريد ؟ انتهى . قال شيخ الاسلام في تفسير سورة (الإخلاص) : ومن قال: الاستواء له معان متعددة، فقد أجمل كلامه، فإنهم يقولون : استوى فقط، ولا يصلونه بحرف، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا ، وله معنى، واستوى إلى كذا، وله معنى ، واستوى مع كذا ، وله معنى ، فتنوع معانيه بحسب صلاته .

وأما استوى على كذا ، فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد . قال تعالى : (فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) الفتح : ٢٩ وقال : (واستوت على الجودي) هود : ٤٤ وقال : (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا ستويتم عليه) الزخرف : ١٣ وقد أتي النبي ﷺ بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » . وقال ابن عمر : أهل رسول الله ﷺ بالحج ، فلما استوى على بعيره . . . وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله ايضاً ، فلا يسمون المائل على الشيء مستوياً عليه . ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال : استووا .

وقوله :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

هو من هذا الباب ، فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها ، أي على كرسي ملكها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ، إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى أيضاً على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ، ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا ، وإنما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد : فإنه مستو على سرير ملكه ، كما يقال : جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) يوسف : ١٠٠ وقوله : (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء

ولها عرش عظيم) النمل : ٢٣ وقول الزمخشري وغيره: استوى على كذا، بمعنى ملك دعوى ، مجردة ، فليس لها شاهد في كلام العرب . ولو قدر ذلك لكان بهـذا المعنى باطلاً في استواء الله على العرش ، لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والارض، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستيلاء عليـــه مؤخراً عن خلق السموات والارض ؟! وايضاً فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، لايخص العرش بالاستواء ، وليس هـــذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : ﴿ورب العرش) المؤمنون : ٨٦ فانه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ،ورب كل شيء، وأما الاستواء المختص بالعرش ، فلا يقال: استوى على العرش ، وعلى كل شيء ،ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء، ولا وجد في كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة، وفي كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحـــوه من الالفاظ التى تخص وتعم ، كقوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق)العلق: ١-٢ فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف إلى غيره لا خصوصاً ولا عموماً ، وهذا مبسوط في موضع آخر . انتهى كلامه .

قال الناظم :

فاسمع فداك معطـل هذي الـــجعاجع ما الذي فيها من الهذيان

قل للمجعجع ويحك اعقل ما الذي قد قلته إن كنت ذا عرفان

العرش عرش الرب جل جلاله واللام للمعهود في الأذهان

ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعان

ومحمد والانبياء جميعهم شهدوا به للخالق الرحمن

منهم عرفناه وهم عرفوه من رب عليه قد استوى ديان

لم تفهم الأذهان منه سرير بلقيس ولا بيتاً على الأركان

كلا ولا عرشاً على بحر ولا عرشاً لجبريل بلا بنيان

كلا ولا العرش الذي إن ثل من عبد هوى تحت الحضيض الداني

كلا ولا عرش الكروم وهذه الـ أعناب في حرث وفي بستان

لكنها فهمت بحمد الله عرش الرب فوق جميع ذي الاكوان

وعليه رب العالمين قد استوى حقاً كما قد جاء في القرآن

اي ن قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ المراد به عرش الرب سبحانه ، واللام للعهد الذهني ولا تفهم الاذهان من العرش غير ذلك ، كعرش بلقيس المذكور في قوله تعالى : (ولها عرش عظيم) النحل : ٢٣ ولا بيتاً على الأركان كما في قوله تعالى : (خاوية على عروشها) البقرة : ٢٥٩ ولا عرشاً على الماء المذكور في حديث رواه سنيد بن داود في تفسيره مرفوعاً الى النبي ﷺ قال : « إن ابليس اتخذ عرشاً على الماء مثل عرش الرحمن عز وجل ... » الحديث ، وهو حديث منكر ، ولاعرشاً لجبريل ولا العرش المذكور في قولهم : ثل عرشه ، أي : ذهب سلطانه وجاهه ونحو ذلك ،ومنه قول عمر رضي الله عنه : كاد عرشي ان يثل ، ولاعرش الكروم . قال ابن عباس: معروشاً : ما يعرش

من الـــكرم ، والعروش الأبنية ،وعرش البيت سقفه ، ولا العروش التي هي البيوت من سقف ونحوه . وهذا بحمد الله من أظهر المعارف التي لا تحتاج الى الاسهاب والاطناب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ظهر المراد به ظهور بيان
لافيه إجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثاني
تركيبه مع حرف الاستعلاء نـــص في العلو بوضع كل لسان
فاذا تركب مع الى فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيد بتمام صنعتها مع الاتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق من بعد ما قد تم بالاركان
لكنما الجهمي يقصر فهمه عن ذا فتلك مواهب المنان
فاذا اقتضى واو المعية كان معـــناه استواه مقدم والثاني
فاذا أتى من غير حرف كان معـــناه الكمال فليس ذا نقصان
لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان
وعلى للاستعلاء فهي حقيقـــة فيه لدى أرباب هذا الشان

اما الاستواء المطلق فله عدة معان، فإن العرب تقول : استوى كذا ، أي : انتهى، وكمل. ومنه قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى)القصص: ١٤ وتقول : استوى و كذا نحو قولهم :استوى الماء والخشبة ، واستوى الليل

والنهار إذا ساواه. وتقول : استوى إلى كذا :إذا قصد إليه علواً وارتفاعاً، نحو : استوى الى السطح والجبل . واستوى على كذا ؛ أي : ارتفع عليه،ولاتعرف العرب غير هذا ، فالاستواء في هذا التركيب نص لايحتمل غير معناه، كما هونص في قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص :١٤ لايحتمل غير معناه، ونص في قولهم :استوى الليل والنهار، في معناه لايحتمل غيره. وقول الناظم : تركيبه مع حرف الاستعلاء نص الخ . أي : أن استواء الرب سبحانه المعدى بأداة على المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السموات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ، لايحتمل معنيين البتة ، فاستواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة على ، نص في معناه لا يحتمل سواه ، والله علم.

قال الناظم رحمه الله :

وكذلك الرحمن جل جلاله لم يحتمل معنى سوى الرحمن

ياويحه بعماه لو وجد اسمه الـــرحمن محتملاً لخمس معان

لقضى بأن اللفظ لا معنى له إلا التلاوة عندنا بلسان

فلذاك قال أئمة الاسلام في معناه ما قد ساءكم ببيان

ولقد أحلناكم على كتب لهم هي عندنا والله بالكيمان

يقول الناظم رحمـــه الله : وكذلك اسم الرحمن لا يحتمل معنى سوى الرحمن .

قوله : ياويحه بعماه ، اي : ياويح المعطل بسبب عماه ، لو وجد اسم

الرحمن محتملا لخمسة معان لأظهرها، وقضى، أي حكم بأنه لا معنى للرحمن إلا التلاوة . وقد قال أئمة الاسلام في معناه : ما ساءكم أيها المعطلة ، وهو موجود في كتبهم بالكيمان ، أي : بالكثرة . ولنذكر بعض ماذكره العلماء في معنى الرحمن الرحيم . كما أحال على ذلك الناظم ، فهما اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله إلى باب فعل بضم العين ، أو بتنزيله منزلة اللازم، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً . كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد نقص البناء ما لا يفيده زائده من المبالغة، كحذر وحاذر، فان حذر أبلغ من حاذر . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها، وهو الله . والرحيم : ذو الرحمة الكثيرة .

وقال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه لاينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم في القرآن ورد غير تابع معنى ، كقوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) الرحمن : ١ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن مجيئه مفرداً غير تابع ، كمجيء اسمه (الله) كذلك ، ولهذا لاينافي دلالته على صفة الرحمن، كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ، ولم يجيء قط تابعاً لغيره، بل متبوعاً ، بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ، ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله تعالى : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم . وكأن الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه رحمة ، أي : صفة فعل له سبحانه ، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم ، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته .

قال رحمه الله تعالى : وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآت قلبك ، لم تنجل لك صورتها . انتهى .

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .

واللفظ منه مفرد ومركب في الاعتبار فما هما سيان
واللفظ في التركيب نص في الذي قصد المخاطب منه في التبيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نسـ ـبته إلى الأفهام والأذهان
فيكون نصاً عند طائفة وعنـ ـد سواهم هو ظاهر التبيان
والذي سواهم مجمل لم يتضح لهم المراد به اتضاح بيان

فالأولون لإلفهم ذاك الخطا ب وإلفهم معناه طول زمان
طال المراس لهم لمعناه كما اشـــتدت عنايتهم بذاك الشـان
والعلم منهم بالمخاطب إذ همُ أولى به من سائر الإنسان
ولهم أتم عناية بكلامه وقصوده مع صحة العرفان
فخطابه نص لديهم قاطع فيما أريد به من التبيان
لكنّ من هو دونهم في ذاك لم يقطع بقطعهم على البرهان
ويقول يظهر ذا وليس بقاطع في ذهنه لا سائر الأذهان
ولإلفه بكلام من هو مقتد بكلامه من عالم الازمان
هو قاطع بمراده وكلامه نص لديه واضح التبيان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هـذا الفصل أن الألفاظ قسمان : مفرد ومركب ، وأن المركب نص في الذي قصد المخاطب ،أو ظاهر ،وأن ذلك من الامور النسبية ،أي: بالنسبة الى الافهام والأذهان ، فيكون نصاً بالنسبة الى طائفة ، وعند طائفة هو ظاهر ، وعند غيرهم هو مجمل ، والمجمل هو اللفظ المتردد بين محتملين فأكثر على السواء ، وقيل : ما لم تتضح دلالته ، وقيل : ما أفاد جملة من الاشياء .وقيل: مالا يفهم منه عند الإطلاق معنى . أي : معين . وقيل :ما لا يفهم منه مراد المتكلم .

قوله : فالأولون ، أي : الطائفة الأولى بسبب الفهم للخطاب والفهم للمعنى ، وطول ممارستهم لمعناه لشـــدة عنايتهم بمعرفة الخطاب ، وعلمهم

بالمخاطب ـ بكسر الطاء ـ فيكون خطابه عندهم نصاً قاطعاً . وأما الطائفة الأخرى فهم لنقصهم عن الأولين في تلك الخصال التي تقدمت ، يرون ذلك ظاهراً ، أي : بالنسبة إليهم لا الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : وليس بقاطع الخ . وأما كلام من هو مقتد بكلامه من العلماء فهو لإلفه بكلامه يقطع بمراده ، وكلامه عنده نص واضح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والفتنة العظمى من المتسلق المخدوع ذي الدعوى أخي الهذيان

لم يعرف العلم الذي فيه الكلا م ولا له إلف بهذا الشان

لكنه منه غريب ليس من سكانه كلاً ولا والجيران

فهو الزنيم دعيّ قوم لم يكن منهم ولم يصحبهم بمكان

وكلامهم أبداً لديه مجمل وبمعزل عن إمرة الايقان

شد التجارة بالزيوف يخالها نقداً صحيحاً وهو ذو بطلان

حتى إذا ردت إليه ناله من ردها خزي وسوء هوان

فأراد تصحيحاً لها إذ لم يكن نقد الزيوف يروج في الأثمان

ورأى استحالة ذا بدون الطعن في باقي النقود فجاء بالعدوان

واستعرض الثمن الصحيح بجهله وبظاهه يبغيه بالبهتان

عوجا ليسلم نقده بين الورى ويروج فيهم كامل الأوزان

اشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى القائلين بالإجمال ، وهم المدعون الذين لم يعرفوا العلم الذي فيه الكلام ، ولا إلف لهم به ، فهم غرباء منه ليسوا من سكانه ولا جيرانه ، فاذا وجدوا الكلام فهو لديهم مجمل ومعزل عن اليقين .

قوله : فهو الزنيم دعي قوم ... الخ . قال في « القاموس » : الزنيم : المستلحق في قوم ، والدعي مزنم كمعظم : اللئيم المعروف بلؤمه أو شره. انتهى . وفي « مختـــار الصحاح » : الزنيم : المستلحق في قوم ليس منهم لايحتاج إليه ، وكأنه فيهم زنمة ، وهي شيء يكون للمعز في آذانها كالقرط ، وهي أيضاً شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً . وقوله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) القلم : ١٣ قال عكرمة : هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها . انتهى .

قوله : شد التجارة بالزيوف .. الخ . قال في « القاموس » : والدراهم زيوفاً ، صارت مردودة لغش درهم زيف وزائف ، أو الأولى ردية جمـــع زياف ، وفلان الدراهم جعلها زيوفاً كزيفها هي ، أي : أن تجارته وبضاعته في العلم زيوف وهو يظنها نقوداً صحيحة ، فلماردت عليه ناله من ردها أشد الخزي وأعظم الهوان ، فأراد تصحيحها ، وأنى ذلك!؟فصار يطعن في باقي النقود الصحيحة بجهله وظلمه ، يبغيها عوجاً حتى يسلم ذلك النقد الزائف بين الناس ويروج بين الجهال والطغام.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس ليسوا أهل نقد للذي ... قد قيل إلا الفرد في الازمان.

والزيف بينهم هو النقد الذي ... قد راج في الأسفار والبلدان.

إذهم قد اصطلحوا عليه وارتضوا بجوازه جهراً بلا كتمان

فإذا أتاهم غيره ولو انه ذهب مصفي خالص العقيان

ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره بمراسم السلطان

فاذا تعاملنا بنقد غيره قطعت جوامكنا من الديوان

والله منهم قد سمعنا ذا ولم نكذب عليهم ويح ذي البهتان

أي : أن أكثر الناس ليسوا بأهل معرفة للزيوف ، اللهم إلا الواحد بعد الواحد في الأزمنة . والنقد الزائف هو الذي قد راج بين الناس ، فإذا أتى الناس غيره ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان : أي : الذهب ، لأن العقيان هو الذهب ، ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره ، فإذا تعاملنا بغير ذاك النقد قطعت جوامكنا من الديوان .

قوله : والله منهم قد سمعنا ذا ... الخ . وبئس ما فعلوا حيث اعتاضوا عن الآخرة بالدنيا والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله :

يا من يريد تجارة تنجيه من غضب الإله وموقد النيران

وتفيده الأرباح بالجنات والحور الحسان ورؤية الرحمن

في جنة طابت ودام نعيمها ماللغناء عليه من سلطان

هيء لها ثمناً تباع بمثله لاتشترى بالزيف من أثمان

نقداً عليه سكة نبوية ضرب المدينة أشرف البلدان

أظننت يامغرور بائعها الذي يرضى بنقد ضرب جنكسخان
منتك والله المحال النفس إن طمعت بذا وخدعت بالشيطان
فاسمع إذاً سبب الضلال ومنشأ التخليط اذ يتناظر الخصمان
يحتج باللفظ المركب عارف مضمونه بسياقه لبيان
واللفظ حين يساق بالتركيب محفوف به للفهم والتبيان
جند ينادي بالبيان عليه مثل ندائنا باقامة وأذان
كي يحصل الإعلام بالمقصود من إيراده ويصير في الأذهان
فيفك تركيب الكلام معاند حتى يقلقله من الاركان
ويروم منه لفظه قد حملت معنى سواه في كلام ثان
فيكون دبوس السلاق وعدة للدفع فعل الجاهل الفتان
فيقول هذا مجمل واللفظ محتمل وذا من أعظم البهتان
وبذاك يفسد كل علم في الورى والفهم من خبر ومن قرآن
إذ أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الأفراد قبل العقد والتبيان
لكن إذا ما ركبت زال الذي قد كان محتملا لدى الوحدان
فاذا تجرد كان محتملا لغير مراده أو في كلام ثان
لكنّ ذا التجريد ممتنع فان يفرض يكن لاشك في الاذهان

والمفردات بغير تركيب كمثـــل الصوت تنعقه بتلك الضان

وهنالك الاجمال والتشكيك والتـجهيل والتحريف والاتيان بالبطلان

فاذا هُمُ فعلوه راموا نقله لمركب قد حف بالتبيان

وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الوحدان

جهلا وتجهيلا وتدليساً وتلـــبيساً وترويجاً على العميان

يعني الناظم رحمه الله أن اللفظ حين يساق بالتركيب فمحفوف بـــه من القرائن ما يبين المراد ،وذلك معنى قوله : جند ينادي عليه ...الخ . أي : فإذا أتى معاندوفك تركيب الكلام وقلقل أركانه ،وأراد منه لفظة قد حملت معنى آخر في كلام ثان .

وقوله : فيكون دبوس السلاق. قال في « القاموس » : دبوس كتنور واحد الدبابيس لمقامع كأنه معرب : سلق العظم : التحاه وفلاناً طعنه ، فيقول: يحتمل ويحتمل، وهذا اللفظ مجمل، فبذاك تفسد علوم الورى،لأن ، أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الإفراد قبل التركيب . ولكن الأمر كما قال الناظم :التجريد ممتنع ،وإن فرض فهو في الأذهان.وأما المفردات فهي كمثل الصوت تنعقـــه بالضان ، وقصدهم بذلك التشكيك والتجهيل والتحريف والله المستعان .

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضلالهم ... وضلالهم في المنطق اليونان

كمجردات في الخيال وقد بنى ... قوم عليها أوهن البنيان

ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً ... ووجودها لو صح في الاذهان

أني وتلك مشخصات حصّلت ... في صورة جزئية بعيان

لكنها كلية إن طابقت ... أفرادها كاللفظ في الميزان

يدعونه الكلي وهو معين ... فرد كذا المعنى هما سيان

تجريد ذا في الذهن أو في خارج ... عن كل قيد ليس في الامكان

لا الذهن يعقله ولا هو خارج ... هو كالخيال لطيفة السكران

لكن تجردها المقيد ثابت ... وسواه ممتنع بلا إمكان

فتجرد الاعيان عن وصف وعن ... وضع وعن وقت لها ومكان

فرض من الأذهان يفرضه كفر ... ض المستحيل هما لها فرضان

الله أكبركم دهى من فاضل ... هذا التجرد من قديم زمان

تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها ... وكذاك تجريد المعاني الثاني

والحق أن كليها في الذهن مفـــروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان

فيقودك الخصم المعاند بالذي سلمته للحكم في الأعيان

فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجملوا فعليك بالتبيـان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ، يشبه غلط الفلاسفة في تجريد المعاني ، وذلك أن الفلاسفة يزعمون أن الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمـــادة والصورة ، لها حقيقة في الخارج ، والصواب أنه لاحقيقة لها في الخارج، وإنما هي أمور معقولة في الذهن يجردها العقل من الأمور المعينة ، كما يجوز العقل الكليات المشتركة بين الأصناف كالحيوانية الكلية ، والانسانية الكلية . والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان ، وهذا معنى قول الناظم : يدعونه الكلي وهو معين ... الخ .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات ،وأن في الخارج ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة،وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية، ومنهم يثبت دهراً مجرداً عن المتحرك والحركة، ويثبت خلاءاً مجرداً ليس متحيزاً ولا قائماً بمتحيز ، ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور . الهيولى في لغتهم بمعنى : المحل . يقال للفضة هيولى الخاتم ، والدرهم والخشب هيولى الكرسي ، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة . وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، ويدعون أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، وهذا غلط، وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد ،وعدد مجرد عن كل معدود ، ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهـذه كلها أمور

مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان ، وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها، وأخذوها مطلقة أخرجوها عن مسمياتها، وماهياتها جميع القيود الخارجة، فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها ، فأثبتوا إنساناً لا طويلاً ولا قصيراً، ولا أسود ولا أبيض، ولا في زمان ولا في مكان ، ولا ساكناً ولا متحركاً ، ولا هو في العالم ولا خارجه ، ولا له لحم ولا عظم ، ولا عصب ولا ظفر، ولا له شخص ولا ظل، ولا يوصف بصفة ، ولا يتقيد بقيد . ثم رأوا الإنسان الخارجي بخلاف ذلك كله، فقالوا: هذه عوارض خارجة عن حقيقته، وجعلوا حقيقته تلك الصورة الخالية التي جردوها ، فهي المعنى لحقيقة هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود ، وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنساناً في الخارج ، لأنها خارجة عن حقيقته، كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيداً إلا بها ، مقتضية لمجازه ، فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين ، هؤلاء في تجريد المعاني ، وهؤلاء في تجريد الألفاظ ، وتأمل مادخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في اللفظ والمعنى ، وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وهذا معنى قول الناظم : فتجرد الأعيان عن وصف ... الخ . أي إن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان إنما هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل. قوله : الله أكبر كم دهي من فاضل ، فاياك والإصغاء إلى التجريدين ، لأن الحق أنهما مفروضان في الذهن ، فلا تسلم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيهما، فيقودك الخصم المعاند بهذا الذي سلمته وتصير مغلوباً معه مقهوراً والله أعلم .

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان
وأبوا بأن يتمسكوا بظواهر النصين واعجبا من الخذلان
قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والتبيان
فاذا تأولنا عليهم كان إبطالا لما راموا بلا برهان
فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيان
باليتهم أجروا نصوص الوحي ذا المجرى من الآثار والقرآن
بل عندهم تلك النصوص ظواهر لفظية عزلت عن الايقان
لم تغن شيئاً طالب الحق الذي يبغي الدليل ومقتضى البرهان
وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ سموه تأويلا بوضع ثان
فانظر الى الأعراف ثم ليوسف والكهف وافهم مقتضى القرآن
فاذا مررت بآل عمران فهمت القصد فهم موفق رباني

معنى كلام الناظم في هذا الفصل أن النفاة تمسكوا بظواهر المنقول عن مشايخهم ، وأبوا عن التمسك بظواهر النصين ، ويحرم عندهم تأويل قول المشايخ ، لان قصدهم الشرح والبيان قالوا : فاذا تأولنا عليهم ، كان

ذلك إبطالاً لما قصدوه ، فلذلك حملوا نصوصهم على ظواهرها، واعتقدوها على حقيقتها ، فياليتهم أجروا نصوص الكتاب والسنة هذا المجرى ، ولكن عندهم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، ولذلك سطوا عليها بالتحريف ، وسموه تأويلاً، وتأويلهم هذا ليس هو المعنى بالتأويل في الكتاب والسنة ، ولهذا قال الناظم : فانظر الى الأعراف .. الخ يعني قوله تعالى : (هل ينظرون الا تأويله) الأعراف : ٥٣ وقوله تعالى في سورة يوسف : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ وقوله تعالى في سورة الكهف عن الخضر في قصة موسى: (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً) الكهف : ٨٣ .

قوله : فاذا مررت بآل عمران ... الخ . يعني قوله تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) آل عمران : ٧ .

قال شيخ الاسلام : إن الصواب قول من يجعله معطوفاً ، وتكون الواو لعطف المفرد على مفرد ، أو يكون كلا القولين حقاً ، وهي قراءتان ،والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، وأن الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التويل المنفي علمه عن غير الله ، هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره ، وهذا فيه نظر ، وابن عباس جاء عنه أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ، أن الراسخين لا يعلمون تأويله ، وجاء عنه أنه قال : التفسير على اربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ،ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم ،وأن فيه مالا يعلمه إلا الله ، فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله :

(الا الله) آل عمران : ٧ جعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .
انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعلمت أن حقيقة التأويل تبـــين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفاً لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بذا ك الاصطلاح وذاك أمر دان
وأتوا الى الالحاد في الأسماء والتـــحريف للألفـــاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تلبيساً وتد ليسا على العميان والعوران

تقدم معنى هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاستن كل منافق ومكذب من باطني قرمطي جـــاني
في ذا بسنتهم وسمى جحده للحق تأويلا بلا فرقان
وأتى بتـأويـل كتأويلاتهم شبرا بشبر صارخاً بأذان
إنّا تأولنا كما أولـــتمُ فأتوا نحاكمكم الى الوزان
في الكفتين تحط تأويلاتنا وكذاك تأويلاتـــكم بوزان
هذا وقد أقررتم أنا بأيـــدينا صريح العدل والمـــيزان
وغدوتم فيه تلاميذاً لنـــا أو ليس ذلك منطق اليونان

منا تعلمتم ونحن شيوخكم لاتجحدونا منة الاحسان
فسلوا مباحثكم سؤال تفهم وسلوا القواعد ربة الاركان
من أين جاءتكم وأين أصولها وعلى يدي من يا أولي النكران؟!
فلأي شيء نحن كفار وأنتم مؤمنون ونحن متفقان؟
إن النصوص أدلة لفظية لم تفض قط بنا الى إيقان
فلذاك حكمنا العقول وأنتم ايضاً كذاك فنحن مصطحان
فلأي شيء قد رميتم بيننا حرب الحروب ونحن كالاخوان
الاصل معقول ولفظ الوحي معزول ونحن وأنتم صنوان
لا بالنصوص نقول نحن وأنتم أيضاً كذاك فنحن مصطحان
فذروا عداوتنا فان وراءنا ذاك العدو الثقل ذو الاضغان
فهم عدوكم وهم أعداؤنا فجميعنا في حربهم سيان

تقدم الكلام في معنى هذه الابيات، ومعنى ذلك أن القرامطة والباطنية ونحوهم من أعداء الشريعة، كلهم يقولون لنفاة علو الرب تعالى على عرشه وصفاته: تأويلنا ما في الكتاب والسنة، من ذكر المعاد، وحياة الرب، ومشيئته، وعلمه، وتأويلنا لحدوث العالم ونحو ذلك كتأويلكم، فلأي شيء نحن كفار، وأنتم مؤمنون؟! فهاتوا واضح الفرق بيننا وبينكم، ولن يجد المتكلمون إلى ذلك سبيلاً، فإن القرامطة والباطنية،

لما جحدوا الشريعة ، وتأولوا التأويلات الشنيعة ، فتأولوا العلميات مع العمليات ، فقالوا : الصلوات الخمس معرفة أسرارنا ، وصيام شهر رمضان كتمان أسرارنا ، والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين ، وإنما فتح لهم هـــذا الباب الجهمية والرافضة ، حيث صـــار بعضهم يقول : الامام المبين علي بن أبي طالب ، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، والبقرة المأمور بذبحها عائشة ، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ، فلســـان حال القرامطة أوقاهم يقول للجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل التحريف والتأويل : إذا كنا نحن وانتم قـــد حكمنا العقول . فلأي شيء تنصبون لنا العداوة ، وترمون بيننا الحرب ؟! فإن العرش عندنا وعندكم ليس فوقه إلا العدم المحض ، والنفي الصرف ، وكذا عنـــدنا أن الكتب المنزلة ليست كلام الله ، بل هي فيض من (العقل) الفعال ، وعندكم أنها مخلوقة ، فعندنا وعندكم أنه لا قول لله سبحانه في الأرض ، وليس فوق السماء رب ، وكذا عندنا رؤيته تعالى محال ، وعند متقدميكم أنه لا يرى ، لكن متأخروكم يقولون : يرى رؤية المعدوم ، لأنهم يقولون : يرى ولكن لا بشرط اتصال الأشعة ، ومقابلة الرائي المرئي ، فعلام هذا الحرب مع الوفاق ، والصلح الذي بيننا ؟ ! فدعوا عداوتنا ، واحملوا معنا على المجسمة ، فانهم أعداؤنا وأعداؤكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

تلك المجسمة الألى قالوا بـــأن الله فوق جميع ذي الاكوان
واليه يصعد قولنا وفعالنـا واليه ترقى روح ذي الايمان

واليه قد عرج الرسول حقيقة وكذا ابن مريم مصعد الابدان

وكذاك قالوا إنه بالذات فو ق العرش قدرته بكل مكان

وكذاك ينزل كل آخر ليلة نحو السماء فهاهنا جهتان

للابتداء والانتهاء وذان للـ ـأجسام أين الله من هذان

وكذاك قالوا إنه متكلم قام الكلام به فيا إخوان

أيكون ذاك بغير حرف أم بلا صوت فهذا ليس في الامكان

وكذاك قالوا ما حكينا عنهم من قبل قول مشبه الرحمن

فذروا الحراب لنا وشدوا كلنا جمعاً عليهم حملة الفرسان

حتى نسوقهم بأجمعنا الى وسط العرين ممزقي اللحمان

قال في « القاموس » : العرين كأمير : مأوى الاسد ، والضبع ، والذئب ، والحية . انتهى .

ولقد كوونا بالنصوص ومالنا بلقائها أبد الزمان يدان

كم ذا بقال الله قال رسوله من فوق أعناق لنا وبنان

اذ نحن قلنا قال أرسطو المعلم اولاً او قال ذاك الثاني

وكذاك ان قلنا ابن سينا قال ذا او قاله الرازي ذو التبيان

قالوا لنا قال الرسول وقال في القرآن كيف الدفع للقرآن

وكذاك أنتم منهم ايضاً بهذا المنزل الضنك الذي تريان

ان جئتموهم بالعقول أتوكم بالنص من أثر ومن قرآن
فتحالفوا إنا عليهم كلنا حزب ونحن وأنتم سلمان
فاذا فرغنا منهم فخلافنا سهل فنحن وأنتم أخوان
فالعرش عند فريقنا وفريقكم ما فوقه أحد بلا كتمان
مافوقه شيء سوى العدم الذي لا شيء في الاعيان والاذهان
ما الله موجود هناك وانما العدم المحقق فوق ذي الاكوان
والله معدوم هناك حقيقة بالذات عكس مقالة الديصان
هذا هو التوحيد عند فريقنا وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جماعتنا على التحقيق في التوراة والانجيل والفرقان
ليست كلام الله بل فيض من الفعال او خلق من الاكوان
فالأرض مافيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان
بشر أتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وأنتم مثلان
ولذاك قلنا إن رؤيتنا له عين المحال وليس في الامكان
وزعمتم أنا نراه رؤية المعدوم لا الموجود في الاعيان
اذ كل مرئي يقوم بنفسه او غيره لابد في البرهان
من أن يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مفرط وتدان

ولقد تساعدنا على ابطال ذا أنتم ونحن فما هنا قولان

أما البلية فهي قول مجسم قال القران بدا من الرحمن

هو قوله وكلامه منه بدا لفظا ومعنى ليس يفترقان

سمع الامين كلامه منه وأداه الى المختار من انسان

فله الأداء كما الأدا لرسوله والقول قول الله ذي السلطان

هذا الذي قلنا وأنتم إنه عين المحال وذاك ذو بطلان

فاذا تساعدنا جميعاً انه ما بيننا لله من قرآن

إلا كبيت الله تلك اضافة المخلوق لا الأوصاف للديان

فعلام هذا الحرب فيما بيننا مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان!؟

فاذا أبيتم سلمنا فتحيزوا لمقالة التجسيم بالاذعان

عودوا مجسمة وقولوا ديننا الـ إثبات دين مشبه الديان

أولا فلا منا ولا منهم وذا شأن المنافق إذ له وجهان

هذا بقول مجسم وخصومه ترميه بالتعطيل والكفران

هو قائم هو قاعد هو جاحد هو مثبت تلقاه ذا لونان

يوماً بتأويل يقول وتارة يسطو على التأويل بالنكران

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول

فنقول فرق بين ما أولته ومنعته تفريق ذي برهان
فيقول ما يفضي الى التجسيم أوّ لناه من خبر ومن قرآن
كالاستواء مع التكلم هكذا لفظ النزول كذاك لفظ يدان
إذ هذه أوصاف جسم محدث لا ينبغي للواحد المنان
فنقول أنت وصفته أيضاً بما يفضي الى التجسيم والحدثان
فوضعته بمشيئة مع قدرة وكلامه النفسيّ وهو معان
أو واحد والجسم حامل هذه الـ أوصاف حقاً فأت بالفرقان
بين الذي يفضي الى التجسيم أو لا يقتضيه بواضح البرهان
والله لو نشرت شيوخك كلهم لم يقدروا أبدا على الفرقان

شرع الناظم رحمه الله في مطالبة المتكلمين في الفرق بين ما يتأول ومالا يتأول من نصوص الكتاب والسنة ، وذلك أن بعض المتكلمين يثبت الصفات السبعة ، كالحياة، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام. وبعضهم يزيد على هذه الصفات صفة التكوين ، فتصير الصفات الثابته عندهم ثمانية ، فيقال لهؤلاء : لا فرق بين ما أثبتموه ونفيتموه ، بل القول في

أحدهما كالقول في الآخر ، فان قلتم : ان ارادته مثل إرادة المخلوقين ، فكذلك محبته ، ورضاه ، وغضبه ، وهذا هو التمثيل . وإن قلتم : له ارادة تليق به . قيل لكم : وكذلك له محبة تليق بـه ، وللمخلوق محبة تليق به . وله سبحانه رضى وغضب يليق به ، وللمخلوق رضى وغضب يليق به ، وان قلتم : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال لكم : الارادة ميل النفس الى جلب منفعة ، أو دفع مضرة . فان قلتم : هذه ارادة المخلوق قيل لكم : وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزمون بالقول في كلامه ، وسمعه ، وبصره ، وعلمه ، وقدرته ، ان نفوا عنه المحبة والرضى ، والغضب ، ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع ، والبصر ، والكلام ، وجميع الصفات . وان قلتم : انه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين . قيل لكم : وهكذا السمع ، والبصر ، والكلام ، والقدرة ، والعلم ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض ، يقال له فيما نفاه ، كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته ، وهذا هو معنى قول الناظم : فيقول ما يفضي الى التجسيم الخ . . . وهذا الالزام لازم لهم كما ترى ، وجوابهم عنه في غاية الصعوبة . ولهذا قال الناظم :

والله لو نشرت شيوخك كلهم لم يقدروا أبداً على الفرقان

وقوله : فأت بالقرآن ، كذا في النسخ ، والصواب فأت بالفرقان . أي : بالفرقان بين ما يتأول وما لا يتأول .

فصل

في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذاك قال زعيمهم في نفسه فرقاً سوى هذا الذي تريان

هذي الصفات عقولنا دلت على إثباتها مع ظاهر القرآن

فلذاك صناها عن التأويل فاعجب يا أخا التحقيق والعرفان

كيف اعتراف القوم أن عقولهم دلت على التجسيم بالبرهان

فيقال هل في العقل تجسيم أم المعقول ينفيه كذا النقصان

إن قلتم ينفيه فانفوا هذه الـ أوصاف وانسلخوا من القرآن

أو قلتم يقضي باثبات له ففراركم منها لأي معان ؟!

أو قلتم ينفيه في وصف ولا ينفيه في وصف بلا برهان

فيقال ما الفرقان بينهما وما البرهان فأتوا الآن بالفرقان

ويقال قد شهد العيان بأنه ذو حكمة وعناية وحنان

مع رأفة ومحبة لعباده أهل الوفاء وتابعي القرآن

ولذاك خصوا بالكرامة دون أعداء الإله وشيعة الكفران

وهو الدليل لنا على غضب وبغض منه مع مقت لذي العصيان

والنص جاء بهذه الأوصاف مع مثل الصفات السبع في القرآن

ويقال سلّمنا بأن العقل لا يقضي اليها فهي في الفرقان

أفنفي آحاد الدليل يكون للـ ـمدلول نفياً يا أولي العرفان

أو نفي مطلقه يدل على انتفا المـ ـدلول في عقل وفي قرآن

أفبعد ذا الانصاف ويحكم سوى محض العناد ونخوة الشيطان

وتحيز منكم اليهم يا أولي الـ ـقرآن والآثار والايمان ؟!

ذكر الناظم لمثبتي بعض الصفات دون بعض فرقاً آخر ، وبين بطلانه ، وذلك أنهم إن قالوا : أثبتنا تلك الصفات ، لأن العقل دل على إثباتها مع النقل ، فان الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الارادة ، والإحكام دل على العلم ، وهذا الصفات مستلزمة للحياة ، والحي لا يخلو عن السمع ، والبصر ، والكلام . أو ضد ذلك ، فيقال لهم عن هذا جوابان :

أحدهما أن يقال : عدم الدليل المعين لايستلزم عدم المدلول المعين ، فهب أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لايثبت ذلك ، فإنه لا ينفيه ، وليس لكم أن تنفوه بغير دليل ، لأن النافي عليه الدليل ، كما على المثبت ، والسمع قد دل عليه ، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولاسمعي ، فيجب اثبات ماأثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم .

الثاني : أن يقال : يمكن اثبات هـ ـذه الصفات بنظير ما أثبتم به تلك من العقليات ، فيقال : نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة ، كدلالة التخصيص على المشيئة ، واكرام الطائعين يدل على محبتهم ، وعقاب الكافرين

يدل على بغضهم ، كما قد ثبت بالشهادة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ، تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى ، لقوة العلة الغائية ، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم ، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة ، وهذا شرح كلام الناظم في هذا الفصل ، والله أعلم .

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامه عقلاً ونقلاً

واعلم بأن طريقهم عكس الطريق المستقيم لمن له عينان
جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحكام موزونا به النصان
وكلام رب العالمين وعبده متشابهاً متحملاً لمعان
فتولدت من ذينك الأصلين أو لاد أتت للغي والبهتان
إذ من سفاح لانكاح كونها بئس الوليد وبئست الألوان
عرضوا النصوص على كلام شيوخهم فكأنها جيش لذي سلطان
والعزل والابقاء مرجعه الى السلطان دون رعية السلطان
وكذاك أقوال الشيوخ فإنها الميزان دون النص والقرآن

إن وافقا قول الشيوخ فرحباً أو خالفت فالدفع بالإحسان
إما بتأويل فإن أعيى فتفـ ـويض ونتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم فظواهر المنقول ذات معان
والنص فهو به عليم دوننا وبحاله مـا حيلة العميان
الا تمسكهم بأيدي مبصر حتى يقودهم كذي الأرسان
فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلَّد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سوا ه بغير ما (هدي ولا)[1] برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا معناهما عجباً لذي الحرمان

أشار الناظم رحمه الله تعالى لهذه الأبيات إلى أن طريق النفاة عكس طريق أهل الاستقامة، فإن النفاة جعلوا كلام شيوخهم نصاً محكماً. وقول الناظم: جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحكام، هو بكسر الهمزة، أي محكماً، وكلام الله ورسوله متشابهاً مجملاً، فلما بنوا الأمر على هذين الأصلين الباطلين تولد من ذلك أنهم يعرضون النصوص على كلام مشايخهم؛ فإن وافقتها قبلوها وإن خالفتها دفعوها إما بالتأويل، فإن عجزوا عن ذلك فالتفويض. ويقولون: كلام الشيخ أولى، وهو أعلم منا بالنصوص، ونحن مقلدون، ونحن كالعميان، والأعمى لا بد له من قائد ونحو ذلك.

قال الناظم: فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان. المقلد بفتح اللام، أي عجباً لعميان البصائر كيف أبصروا أن مقلدهم أولى بالصواب من غيره من المقلدين، فاعجب لهذا الحرمان.

(١) زيادة ليست في الاصل، ولا في غيره من النسخ، ولا يستقيم الوزن بدونها.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قول الشيوخ أتم تبيانا على الـــوحيين لا والواحد المنـــان
النقل نقل صادق والقول من ذي عصمة في غاية التبيان
وسواه إما كاذب أو صح لم يك قول معصوم وذي تبيان
أفيستوي النقلان يا أهل النهى والله لا يتماثل النقلان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا في الله نحن لأجله خصمان

أي أنهم لما عموا عن الوحيين ، وزعموا أنهم لا يفهمون معناهما، فكيف يفهمون كلام الشيوخ ، مع أن الوحيين أتم بياناً من كلامهم، ولأن الوحيين نقل صادق عن قائل معصوم . وأما أقوال الشيوخ فهي إما نقل كاذب، وان صحت فهي عن غير معصوم ، فهل يستوي النقلان ؟ كلا وهيهات .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم لكن نصرنا موجب القرآن
ولنا سلوك ضد مسلكهم فما رجلان منا قط يلتقيان
إنا أبينا أن ندين بما بـــه دانوا من الآراء والبهتان
إنا عزلناها ولم نعبأ بهـا يكفي الرسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ه الله شر حوادث الأزمـان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ه الله في قلب ولا أبدان

من لم يكن يغنيه ذان رماه رب العرش بالإعدام والحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلا هدا ه الله سبل الحق والإيمان
إن الكلام مع الكبار وليس مع تلك الأراذل سفلة الحيوان
أو ساخ هذا الخلق بل إنتانه جيف الوجود وأخبث الانتان
الطالبين دماء أهل العلم بالـ ـكفران والعدوان والبهتان
الشاتمي أهل الحديث عداوة للسنة العليا مع القرآن
جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم فالله يقطعها من الأذقان
كبراً وإعجاباً وتيها زائداً وتجاوزاً لمراتب الإنسان
لو كان هذا من وراء كفاية كنا حملنا راية الشكران
لكنه من خلف كل مخلّف عن رتبة الإيمان والإحسان

قوله : كبراً وإعجاباً ... الخ هذا مأخوذ من قول القائل :

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومد يد نحو العلى بتكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية لهان[1] ولكن من وراء تخلف

قال الناظم رحمه الله تعالى :

من لي بشبه خوارج قد كفروا بالذنب تأويلاً بلا إحسان
ولهم نصوص قصروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان
وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

---

[1] في الاصل لهاء ، وهو خطأ .

يقول الناظم : إن الخوارج أحسن حالاً منكم أيها الخصوم ، لأن الخوارج في تكفيرهم بالذنوب أخذوا بنصوص الوعيد لكن أخطؤوا في ذلك ، وقصرت أفهامهم . وأما أنتم فخالفتم النصوص وكفرتم من أخذها وقدمها على غيرها ، بل كفرتم بما هو غاية التوحيد والإيمان .

فصل

في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج .

ومن العجائب أنهم قالوا لمن ... قد حاف بالآثار والقرآن

أنتم بذا مثل الخوارج إنهم ... أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان

فانظر الى ذا البيت هذا وصفهم ... نسبوا إليه شيعة الإيمان

ساروا على سنن الرسول وحزبه ... سيفين سيف يد وسيف لسان

خرجوا عليهم مثلما خرج الألى ... من قبلهم بالغي والعدوان

والله ما كان الخوارج هكذا ... وهم البغاة أئمة الطغيان

كفرتم أصحاب سنته وهم ... فساق ملته فمن يلحاني

إن قلت هم خير وأهدى منكم ... والله ما الفئتان مستويان

شتان بين مكفر بالسنة العليا وبين مكفر العصيان

قلتم تأولنا كذاك تأولوا ... وكلاكما فئتان باغيتان

ولكم عليهم ميزة التعطيل والتحريف والتبديل والبهتان
ولهم عليكم ميزة الاثبات والتصديق مع خوف من الرحمن
ألكم على تأويلكم أجران إذ لهمُ على تأويلهم وزران
حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيان
وكلا كما للنص فهو مخالف هذا وبينكما من الفرقان
هم خالفوا نصاً لنص مثله لم يفهموا التوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص للـ شبه التي هي فكرة الأذهان
فلأي شيء أنتم خير وأقـ ـرب منهم للحق والإيمان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا ب على الحديث الموجب التبيان
لكنكم قدمتمُ رأي الرجا ل عليهما أفأنتم عدلان
أم هم إلى الاسلام أقرب منكم لاح الصباح لمن له عينان
والله يحكم بينكم يوم الجزا بالعدل والإنصاف والميزان
هذا ونحن فمنهمُ بل منكمُ برآء الا من هدى وبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان كذبهم في رميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج ، وأوضح شبههم المحقق بالخوارج ، وذلك أن النفاة قالوا للمثبتة : أنتم أخذتم بالضواهر ولم تهتدوا للمعاني كالخوارج .

قال الناظم : فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهم . . أي : أنهم وصفوا

المثبتة بما هو وصفهم ،وذلك أنهم سلوا السيوف على السنة وأهلها ، وخرجوا عليهم كخروج الخوارج على الأمة ، لكن الخوارج مع بغيهم وطغيانهم كفروا فساق الملة ، وأما هم فكفروا من اتبع الكتاب والسنة ، فيقول الناظم : فمن يلحاني ؛ أي : ينازعني إن قلت : إن الخوارج خير وأهدى منكم ، وشتان بينكم وبينهم ، لأنكم تكفرون باتباع السنة وتقديم النصوص على غيرها ، وهم يكفرون بالذنوب والمعاصي ،وإذا قلتم : تأولنا ، فهم كذلك تأولوا ، وكلاكما فئتان باغيتان ، ولكن زدتم عليهم بالتعطيل والتحريف والتبديل والبهتان ، وهم تميزوا عنكم بالإثبات والتصديق والخوف من الله ، أفلكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وزران ؟! وحاشا رسول الله من هذا الحكم ، بل أنتم وهم في حكمه سيان ، ومع هذا فكلاكما مخالف للنص ، ولكن بينكما فرق كثير ، لأنهم خالفوا نصاً لنص آخر لما لم يفهموا التوفيق بين النصوص ، وأما أنتم فخالفتم النصوص بالعدوان والشبه التي ما نزل الله بها من سلطان ، وهم أيضاً قدموا ما فهموه من القرآن على الحديث وأما أنتم فخالفتم القرآن والحديث ، وقدمتم عليهما آراء الرجال فهم أقرب منكم إلى الاسلام ، والله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة وهو العليم الحكيم ، ومع هذا فنحن منكم ومنهم براء إلا من هدى وبيان .

ثم شرع الناظم في بيان الموازنة بينهم وبين الخوارج وترجيح الخوارج عليهم فقال :

فاسمع إذاً قول الخوارج ثم قو ... ل خصومنا واحكم بلا ميلان

من ذا الذي منا إذاً أشباههم ... إن كنت ذا علم وذا عرفان

قال الخوارج للرسول اعدل فلم ... تعدل وما ذي قسمة الديان

وكذلك الجهمي قال نظير ذا لكنه قد زاد في الطغيان!

قال الصواب بأنه استولى فلم قلت استوى وعدلت عن تبيان

أي: أن الخوارج قال قائلهم وهو ذو الخويصرة التميمي للنبي ﷺ وهو يقسم: اعدل يارسول الله كما في الصحيح عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل» قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه. قال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...» الحديث[1].

وكذلك الجهمي قال: الصواب: استولى على العرش، فلم قلت يارسول الله: استوى؟.

وكذاك ينزل أمره سبحانه لم قلت ينزل صاحب الغفران

ماذا بعدل في العبارة وهي مـــوهمة التحيز وانتقال مكان

أي وكذلك الجهمي لما قال الرسول: «ينزل ربنا». قال الجهمي: بل ينزل أمره، لأن النزول يقتضي الحركة والانتقال.

وكذاك قلت بأن ربك في السما أوهمت حيز خالق الأكوان

كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السما سلطان ذي السلطان

أي: قال الجهمي: إنك قلت أيها الرسول عن الله إنه في السماء وذلك يقتضي

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه.

التحيز والمكان لله ، كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطانه سبحانه .

وكذاك قلت اليه يعرج والصوا ب إلى كرامة ربنا المنان

أي : أن الجهمي لنفيه علو الرب سبحانه فوق خلقه يقول : الصواب أن العروج إلى كرامة الله ، لا إلى الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بأن منه ينزّل القـــرآن تنزيلاً من الرحمن

كان الصواب بأن يقال نزوله من لوحه أو من محل ثان

أي : أن الجهمي قال للرسول : لم ذكرت أن القرآن ينزل من الرحمن ، والصواب أن نزوله من اللوح المحفوظ ، أو من محل آخر .

وتقول أين الله والأين فممـــتنع عليه وليس في الإمكان

لو قلت من كان الصواب كما ترى في القبر يسأل ذلك الملكان

أي : يقول الجهمي للرسول : إنك تقول : أين الله ؟ والأين ممتنع على الله تعالى ومحال ، وليس بممكن ، والصواب أن تقول : من الله ؟ كما يسأل الملكان في القبر الميت فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتقول أللهم أنت الشاهد الـــأعلى تشير بأصبع وبنان

نحو السماء وما إشارتنا له حسية بل تلك في الأذهان

والله ما ندري الذي نبديه في هذا من التأويل للاخـــوان

قلنا لهم إن السما هي قبلة الـــداعي كبيت الله ذي الاركان
قالوا لنا هذا دليل أنه فوق السماء بأوضح البرهان
فالناس طراً إنما يدعونه من فوق هذي فطرة الرحمن
لا يسألون القبلة العليا ولـــكن يسألون الرب ذا الاحسان
قالوا وما كانت إشارته إلى غير الشهيد منزّل الفرقان
أتراه أمسى للسما مستشهداً حاشاه من تحريف ذي البهتان

أى : أن الجهمي يقول للرسول : انك تشير بأصبعك الى السماء ـ في خطبته بعرفة ـ في الموقف العظيم ، وتقول : « اللهم اشهد »[1] ونحن لا ندري ما تبديه من التأويل في هذا . فإن قلنا للناس : ان السماء قبلة الداعي كبيت الله . قالوا لنا : هذا دليل أنه فوق السماء ، لأن الناس إنما يدعونه من فوق ، وعلى هذا فطر الله الخلق ، ومعلوم بالضرورة أنهم لا يسألون القبلة ، وكذلك معلوم أنهم لا يستشهدون السماء ، وإنما يستشهدون من فوقها سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بانه متكلم وكلامه المسموع بالآذان
نادى الكليم بنفسه وكذاك قد سمع الندا في الجنة الأبوان
وكذا ينادي الخلق يوم معادهم بالصوت يسمع صوته الثقلان
إني أنا الديان آخذ حق مظـــلوم من العبد الظلوم الجـــاني

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر رضي الله عنه في باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وتقول إن الله قال وقائل ... وكذا يقول وليس في الإمكان

قول بلا حرف ولا صوت يرى ... من غير ما شفة وغير لسان

أوقعت في التشبيه والتجسيم من ... لم ينف ما قد قلت في الرحمن

لو لم تقل فوق السماء ولم تشر ... بإشارة حسية ببيان

وسكتّ عن تلك الأحاديث التي ... قد صرّحت بالفوق للديان

وذكرت أن الله ليس بداخل ... فينا ولا هو خارج الأكوان

كنا انتصفنا من أولي التجسيم بل ... كانوا لنا أسرى عبيد هوان

لكن منحتهمُ سلاحاً كلما ... شاؤوا لنا منهم أشد طعان

وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم ... يرموننا غرضاً بكل مكان

لو كنت تعدل في العبارة بيننا ... ما كان يوجد بيننا رجفان

هذا لسان الحال منهم وهو في ... ذات الصدور يغل بالكتمان

يبدو على فلتات ألسنهم وفي ... صفحات أوجههم يرى بعيان

سيما إذا قرىء الحديث عليهمُ ... وتلوت شاهده من القرآن

فهناك بين النازعات وكوّرت ... تلك الوجوه كثيرة الألوان

ويكاد قائلهم يصرح لو يرى ... من قابل فتراه ذا كتمان

يعني أن الجهمي يقول : إنك يارسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم